منتدى مجال
سياسي - اجتماعي - استشاري

منتدى مجال
سياسي - اجتماعي - استشاري

المذهب الإباضي يؤسس لعلاقة استراتيجية بين اليمن وعُمان في منطقة ملتهبة بالصراعات

منتدى مجال

سياسي - اجتماعي - استشاري

المذهب الإباضي يؤسس لعلاقة استراتيجية بين اليمن وعُمان في منطقة ملتهبة بالصراعات

ورقة مقدمة من منتدى مجال

مارس 2022م

https://majalforums.com
info@majalforums.com
ahmed@majalforums.com
00967775775774

تتميز العلاقات بين «اليمن» و«سلطنة عمان» بأنها موغلة في التاريخ، وكان للمذهب الإباضي والموقع الجغرافي الجيوسياسي للبلدين وتشابه التركيبة الاجتماعية القبلية دور كبير في رسم ملامح العلاقة بينهما، لكن، متى نشأ الفكر الإباضي، وما هي نظريته السياسية في الحكم، وما هي معتقداته وأماكن تواجده؟

الإباضية هي ثالث الفرق الإسلامية بعد السنة والشيعة، لكن مفهومها كفكر اقترن بالحياد الإيجابي، وتجنب المشاكل والصّدام مع الآخرين، إلى جانب عدم اهتمامها بنشر أفكارها أو فرضها على الواقع السياسي على عكس المذاهب الأخرى.

ولأن «سلطنة عمان» من أوائل الدول التي تمركز فيها المذهب الإباضي، فقد ساهم هذا الفكر -إلى جانب العديد من العوامل الجغرافية والسياسية- في تشكيل المشهد السياسي في السلطنة، ومواقفها وسياستها الخارجية المعروفة بالحياد والاتزان، والوقوف على مسافة واحدة من جميع الأطراف الإقليمية والدولية، والانحياز إلى التفاوض والحل السلمي للنزاعات والصراعات المستعرة في المنطقة؛ ليبرز دور السلطنة كوسيط محايد لحل الكثير من الملفات في محيطها الإقليمي والدولي لا غنى عنه.

وخلافًا للسياسات المتقلبة والعشوائية التي انتهجها جيرانها الخليجيين، تقوم السياسة العمانية على مبادئ التعايش السلمي بين جميع الشعوب وحسن الجوار وعدم التدخل في شؤون الغير، واحترام سيادة الدول؛ ما منحها صوتًا مسموعًا لدى كافة الأطراف.

فعلى الصعيد اليمني احتفظت «عمان» بعلاقات أخوية مع الشعب اليمني؛ احترامًا لأواصر القربى وحق الجوار والقواسم المشتركة، حيث ظلت مواقفها إيجابية وداعمة لقضايا اليمن طيلة العقود الماضية وما تلاها من أحداث خطيرة غذّتها التدخلات الخارجية في شؤونه الداخلية، ووصولاً إلى رفضها الانخراط في الحرب على اليمن في مارس 2015م.

ظلت السياسات العمانية داعمة لخيار الحل السلمي للأزمة اليمنية، وبادرت

بالوساطة منذ بداية «عاصفة الحزم» عبر تواصلها المفتوح والشفاف مع كافة الأطراف اليمنية والدولية؛ بحثًا عن أي حلٍ أو مخرجٍ يفضي إلى إيقاف الحرب وإحلال السلام، كما فتحت السلطنة أجواءها وأراضيها أمام اليمنيين للعلاج كوجهة وحيدة بعدما أغلقت دول التحالف كافة المنافذ والمطارات اليمنية؛ وهو ما منح السلطنة مفاتيح دبلوماسية مهمة في الملف اليمني.

يتناول «منتدى مجال» في هذه الورقة: نشأة الإباضية والمؤسس والمعتقدات ونشأة الدولة الإباضية في «اليمن» و«عمان»، وأسباب التغييب التاريخي لهذه الدولة، والأحداث التي أدّت إلى تحول «الإباضية» من موقف سياسي إلى تيار سياسي له نظريته في الحكم، ودور هذا المذهب في تعزيز العلاقة بين «اليمن» و«عمان» ومستقبل هذه العلاقة، من خلال ثلاثة محاور رئيسية، هي: المذهب - الدّولة - الدّور.

تمهيـــد:

تعد الإباضية أحد الفِرَق الخمس التي انتمت إلى «الخوارج» الذين كانوا أحد الفرق الثلاث الرئيسية في التشكيلة الفكرية السياسية في التاريخ الإسلامي «السنَّة ـ الشيعة ـ الخوارج»، وهي الفرقة التي تبقّت من الخمس الفرق التي انقسم الخوارج إليها في بداية التاريخ الإسلامي، وقد كان لها حضورها من خلال أعلامها ومذهبها، وكان لها دورٌ حاول التوسط بين متطرّفي الخَوارج وبين خصومهم في السلطة والمعارضة ـ آنذاك ـ على حدٍّ سواء.

وككل المذاهب والفرق غلبت على الكتابات حولها ظاهرة المدح والقدح من قبل المنتمي أو المعارض، وهذا أحد ما يجعل فتح أضابير[1] التاريخ؛ لرؤيتها كما كانت واقعًا، أو ـ على أقل تقدير ـ كما هي في أقرب صورة إلى واقعها؛ لأنَّ معرفة الشيء كما هو يزيد من رصيد الحقيقة أولًا، ويُمكِّن من الاستفادة من التراث في الواقع عبر الاستفادة من الإنجازات وتلافي القصور.

أولًا: الإباضية المذهب

ظهر «الخوارج» على الساحة الإسلامية كفئة خاصة بعد حادثة التحكيم الشهيرة التي وقعت أيام معارك صفين، وبعد ظهور النتيجة التي برز من ملامحها أنها كانت لاستثمار الوقت وإحداث الفرقة بين أصحاب الخليفة الراشد «علي بن أبي طالب» عليه السلام، ونتيجة لذلك فقد وصفهم البعض بأنهم «قومٌ مرقُوا من الدين وخرجوا عن الإسلام»[2]. بينما يرى البعض أنهم لمّا لاحظوا أنَّ «أحداث صفين إذ أكلت هذه الحرب أكثر من مائة ألف مقاتل بين صحابي وتابعي، ففكروا في وضع أساس لاختيار الخليفة، ولما كان المتحاربون فيها من قريش بدأ التركيز على مبدأ أو مفهوم القرشية؛ فجوَّزوا أن تكون الإمامة في غير قريش، وكلّ من نصبُوه برأيهم وعاشَر النّاس على ما مثلوا له من العدل واجتناب الجور كان إمامًا، ومَن خرج عليه يجب نصب القتال معه، وإن غيَّر السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله»[3].

وقد ظهرت العديد من الأسماء التي وصفوا بها في زمن نشأتهم، منها ما قبلوه ومنها ما رفضوه: «مسألة: والخوارج يسمَّون (الشُرَاة)؛ لقولهم إنهم باعوا الدنيا بالآخرة. قال ابن الأنباري: الشاري مَن يبيع الدنيا بالآخرة، تسمَّوا به وهم بعيدون منه، والشراة جمع شاري. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ [البقرة:207]، أي يبيع. ويسمُّون (الحرورية)؛ لنزولهم بحروراء في أول أمرهم، وهي بلدة بناحية «الكوفة» سماهم بذلك أمير المؤمنين. ويسمَّون (المُحَكِّمَة)؛ لقولهم: إنِ الحكمُ إلا لله، وهم يرضون بذلك، أي بتسميتهم بأي هذه الأسماء. ويسمَّون (المارقة)؛ للخبر؛ وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم في «ذي الخويصرة»: «سيخرج من ضئضيء هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: «تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين»، وهذا الاسم لا يرضونه[4]. وقد تفرعت الإباضية كمذهب من الخوارج، والتفاصيل التي تجمعهم معهم وتُميِّزهم عنهم كثيرة.

المؤســـــس:

الإباضية كمذهب كانت لهم أسماء تسمَّوا بها قبل اشتهارهم بهذا الاسم، نجد موجز ذلك في هذا النص: «ولم تكن هذه التسمية المتداولة الآن الإباضية معروفة في بداية النشأة، بل كانوا يُسمُّون أنفسهم آنذاك بـ«أهل الدعوة» و«أهل الحق» و«أهل الاستقامة» و«جماعة المسلمين»، وإنما عرفوا بـ «الإباضية» بعد ذلك بزمن؛ نسبةً إلى عبدالله بن إباض، أحد الأعلام المشهورين عند الإباضية (المتوفى نحو سنة:86هـ)، بسبب المراسلات والمناقشات الطويلة التي كانت بين عبدالله بن إباض وعبدالملك بن مروان، ولنقده الحكم الأموي عندما ابتعد الناس عن نهج الخلفاء الراشدين، ولمواقفه الجدليّة ضد الخوارج؛ بحيث ظهر عند عامة الناس أنه الزعيم المنافح عن هذه الفرقة. فهذه النسبة غير قياسية[5].

لكن الإباضية ارتضوا هذه التسمية عندما رأوا أنه لا منقصة فيها ولا طعن، فقبلوها وشاعت عند الخاص والعام، وتداولتها الكتابات والألسن على مر التاريخ بعد ذلك، يقول السالمي في نظمه (كشف الحقيقة لم جهل الطريقة):

إنَّ المخالفين قد سَمَّونا ... بذاك غير أننا رضينا

وأصله أنَّ فتى إباض ... كان محاميًا لنا وماضي[6]

وقد لفت إلى أن «عبدالله بن إباض» هو صاحب الدور السياسي، بينما «جابر بن زيد» هو إمام المذهب؛ «عرفت إذًا أن الشخصية التي كان لها دور سياسي بارز في نصرة «المذهب الإباضي» وعُرِفَت به هو «عبدالله بن إباض»، وأنَّ «جابر بن زيد» هو إمام المذهب ومن أرسى قواعده»[7]. وقد ذكر الشهرستاني زمن «ابن إباض» بقوله: «الذي خرج في أيام مروان بن محمد»[8].

نبذة عن المذهب الإباضي:

لكل المذاهب رؤى وتفاصيل كثيرة في جوانب متعددة، فكرية وفقهية وسياسية وغيرها، و«المذهب الإباضي» ليس باستثناء من ذلك، فلديه الكثير من الكتب التي تتناول كل هذه الجوانب، وذلك مذكور عند الحديث عن علمائهم، وفي كتب الطبقات الخاصة بهم.

هناك الكثير من المسائل الهامة في معتقدات الإباضية، وقد عرض منها الشهرستاني عددًا من المسائل المركزية التي قال بها «عبدالله بن أباض» والإباضيون: «قال: إنَّ مخالفينا من أهل القبلة كفَّارٌ غير مشركين، ومناكحتهم جائزة، وموارثتهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال، وما سواه حرام، وحرام قتلهم وسبيهم في السرِّ غِيْلَة؛ إلَّا بعد نصب القتال وإقامة الحجة، وقالوا: إنَّ دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد؛ إلَّا معسكر السلطان فإنه دار بغي، وأجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم، وقالوا في مرتكبي الكبائر: إنهم مُوحِّدون لا مؤمنون»[9].

ويمكن القول: إنَّ هذا النص له أهميته التاريخية؛ نظرًا لأنه يبيِّن التطور الذي قد أنجزته الإباضية للخروج من تشدُّد بقية فرق الخوارج تجاه مخالفيهم، ففي مسألة الخروج التي كان للخوارج منها نصيب كبير حتى في التسمية؛ لأنها كانت أحد أهم المسائل التي ظهرت منذ بداية نشأتهم، وترسخت لديهم بسبب قيام السلطات المتعاقبة (الأموية والعباسية...إلخ) بترسيخ مفهوم طاعة ولي الأمر بالشكل السلبي، والذي واجهته القوى المعارضة (الخوارج والشيعة وغيرهم) بفكرة الخروج، فنتيجة لذلك «نشأت اتجاهات أخرى ترى وجوب الخروج على الظلمة وقتالهم، وإنكار جورهم ومفاسدهم وتغييرها بحدِّ السيف؛ فإما إقامة حياة عادلة سعيدة، وإما الجنة، وفي مقدمة مَن سار على هذا الطريق: الخوارج»[10].

ومع هذا فقد أحدثت الإباضية نقلة في الأمر، فمما نقل عن «مرداس بن أُدَيَّة» الذي يبدو أنه «لم يكن مرتاحًا لما حدث من خلاف وفتنة بين المسلمين وصعق لما حلَّ بأقاربه وأقرانه من قتل وتشريد على يد إخوانهم في الدين، ورأى أن القتال بين أتباع العقيدة الإسلامية السمحة بهذه الطريقة الشرسة أمرٌ لا يصح، فانسحب مع نفر من أصحابه... أخذ «مرداس» ينشر آراءه وأفكاره مؤْثرًا طريق الإقناع والمناقشة على الحرب والعنف، وأنكر قتل المخالفين واستعراض الناس على طريقة متطرفي الخوارج، ودعا أتباعه بأن لا يجرِّدوا سلاحًا ولا يقاتلوا أحدًا إلَّا إذا تعرَّضوا للعدوان وأُجبروا على القتال»[11].

- أبرز شخصياتهم:

تتَبّع الشخصيات الكبرى المؤثرة في المذهب الإباضي مهمة كبيرة وواسعة جدًا؛ لأنها تمتد من القرن الأول الهجري إلى اليوم، ولكن هناك أشخاص يمكن أن يعدهم المتتبع رموزًا لدى الإباضية وسنذكر هنا بعضًا منهم:

- جابر بن زيد (إمام المذهب): (21-93 هـ = 642-712 م)، ترجمه صاحب الأعلام بقوله: «جابر بن زيد الأزدي البصري، أبو الشعثاء: تابعي فقيه، من الأئمة. من أهل البصرة. أصله من عُمان. صحب ابن عباس. وكان من بحور العلم، وصفه الشماخي -وهو من علماء الإباضية- بأنه أصل المذهب وأُسَّه الذي قامت عليه آطامه. نفاه الحجَّاج إلى عُمان. وفي كتاب «الزهد» للإمام أحمد: «لما مات جابر ابن زيد، قال قتادة: اليوم مات أعلم أهل العراق»[12].

وقد ذكر «طارق ساسي الشيباني» في ترجمته التي تتبعها العديد من المعلومات نذكر أهمها هنا: «ولد بقرية (فرق) ولاية (نزوى)، ونشأ في أحضان عائلة علم ورواية، إذ روى عن أبيه... روى الحديث عن جماعة من الصحابة، منهم: أم المؤمنين عائشة، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن مسعود، وأنس بن مالك، وعبدالله بن الزبير، وجابر بن عبدالله، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري.. وغيرهم.

من تلاميذه: أبي عبيدة بن مسلم بن أبي كريمة، ضُمام بن السائب العماني، قتادة السدوسي (من رجال البخاري)، عمرو بن دينار، أيوب بن أبي تميمة كيسان، تميم بن حُويص الأزدي، حيَّان الأعرج، عاتكة بنت أبي صفرة، عبدالله بن زيد الجرمي، جعفر السمَّاك، وغيرهم... تنسب له موسوعة علمية تعرف بـ«ديوان جابر»، وهو أول من جمع الحديث في ديوان، ومن أوائل المؤلفين في الإسلام، غير أن ديوانه ضاع وبقيت بعض فتاواه»[13]، وقد طُبعت بعض كتبه في بيروت، وسلطنة عُمان.

- عبدالله بن إبَاض التميمي: من بني مرة بن عبيد بن مقاعس: رأس الإباضية، وإليه نسبتهم. اضطرب المؤرخون في سيرته وتأريخ وفاته. وكان معاصرًا لمعاوية، وعاش إلى ـ أواخر أيام عبد الملك بن مروان. عده الشَّماخي في التابعين، وقال«كان على ما حفظت ممن خرج إلى مكة؛ لمنع حرم الله من مسلم (بن عقبة المري) عامل (يزيد بن معاوية)، وكان كثيراً ما يُبدي النصائح لعبد الملك بن مروان،

وفي حفظي أنه يصدر في أمره عن رأي جابر بن زيد»[14]. وهو الذي تنسب إليه الإباضية؛ لأنه كان الشخص الذي تميَّزت على يديه معالمها الفكرية والسياسية آنذاك؛ رغم وجود شيخه إمام المذهب «جابر بن زيد»، فمواقفه التي كانت على المقابل مما كان عليه الأزارقة (أتباع نافع بن الأزرق) وغيرهم من الخوارج، ميَّزت الإباضية فكان هو الأولى بنسبتها إليه، وقد ذكر «عبدالرحمن جعفر بن عقيل» تاريخًا تقريبيًا بقوله: «وبموقف ابن إباض تشير معظم المصادر التاريخية حقيقة إلى بداية ظهور الإباضية سنة: 65هـ»[15]، وقد «توفى على أرجح الأقوال سنة: 86هـ، في عهد عبدالملك بن مروان»[16].

● أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة: كان أحد أهم الشخصيات في تاريخ الإباضية، فهو «مسلم بن أبي كريمة؛ التميمي بالولاء، أبو عبيدة، مولى لعروة بن أُديَّة، أصله من فارس، ولد حوالي سنة 45هـ من الهجرة... روى عن بعض الصحابة، منهم: صُحار بن العباس العماني، كما أخذ العلم أيضًا عن: جابر بن زيد (وهو تابعي مثله)، وجعفر بن السمَّاك، وضُمام بن السائب... خلف جابر بن زيد في إمامة المذهب بعد وفاته... كانت له مدرسة في «البصرة» في سرداب بعيدًا عن أنظار بني أمية، وقد كانت عيون «الحجاج بن يوسف» تلاحقه، سجنه الحجاج في مَن سجن من المسلمين، ولم يُفرَج عنه حتى هلك الحجاج سنة 95هـ، وقد عُرف بـ«القَفَّاف»؛ لأنه كان يُمَوِّه مدرسته بصنع القِفَاف، وقد تخرَّج من مدرسته بالبصرة مشاهير أئمة الإباضية ودعاتها، منهم: الربيع بن حبيب الفراهيدي (صاحب المسند)، وأبو سفيان محبوب بن الرُّحيل، وأبو يزيد الخوارزمي، وأبو حمزة المختار بن عوف الشاري، وعبدالله بن يحيى (طالب الحق)، والجُلَنْدي بن مسعود، وسلمة بن سعد وأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري... قال عنه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور حين بلغته وفاته: أَوَ قد مات! إنا لله وإنا إليه راجعون؛ ذهبت الإباضية، توفى رحمه الله تعالى حوالي سنة: 145هـ»[17]. وقد طبعت العديد من آثاره الفكرية، وألَّف عنه الدكتور «مبارك بن عبدالله الراشدي» رسالة بعنوان: «الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وفقهه» طبعت في سلطنة عمان[18].

● الربيع بن حبيب الفراهيدي: هو الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي الفراهيدي البصري، وفراهيد من غضفان من عُمان، ولد في منطقة الباطنة في «عُمان» في

النصف الثاني من القرن الأول الهجري، ما بين سنتي: 75ـ80هـ، انتقل للبصرة وأخذ بها علوم التفسير والحديث والفقه على شيوخها من التابعين الذين عاشوا في تلك الفترة... سلك «الربيع بن حبيب» طيلة تحصيله للعلم مسلك شيخيه أبي الشعثاء «جابر بن زيد» و«أبي عبيدة مسلم» في تجنب أي صدام أو احتكاك مباشر مع سلطة الولاة الأمويين؛ مما جنبه التعرض للاضطهاد أو الأذى في أثناء تفرغه لتلقي العلم... عُدَّ ثالث أئمة العلم عند الإباضية بعد جابر بن زيد وأبي عبيدة بن مسلم... من أهم آثاره كتاب «المسند»، ويطلق عليه الإباضية (الجامع الصحيح)، ولم يكن في أول أمره مرتَّبًا أو مصنفًا حتى جاء «أبو يعقوب الوارجلاني» وأعاد ترتيب الأحاديث على نحو موضوعي على طريقة الجوامع، فقام بجمع الأحاديث على حسب أبواب الفقه المعروفة، وهو مطبوع ومتداول، وعني علماء الإباضية بتخريج أحاديثه ومقارنتها بما ورد في كتب السنة الأخرى[19]. وقد تُوفي الإمام الربيع بن حبيب سنة 173 من الهجرة على أرجح الأقوال[20].

ـ دور المذهب في التاريخ الإسلامي:

كانت المذاهب الإسلامية أحد الأمور الفاعلة في المجتمع والتاريخ الإسلامي، فمقولة الخليفة العباسي في «أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة» حين بلغته وفاته «أَوَ قد مات! إنا لله وإنا إليه راجعون؛ ذهبت الإباضية»؛ تضعنا في صورة عمودية تجلي العلاقة السياسية بين الحاكم والمحكوم، وتبين بوضوح اهتمام الحاكم برصد الأشخاص والجهات المحرِّكة والفاعلة في المجتمع الذي يحكمه، وهذا ما يُشير ـ ولو بخفاء ـ إلى دور المذهب الإباضي في التاريخ آنذاك.

وعند النظر بشكل أفقي لدور المذهب الإباضي في أوساط الجماعات داخل المجتمع والتعاطي معها وقبول أو ردُّ ما لديها من مناهج فكرية ورؤى، نجد الأفكار والمناهج تتقاطع بينه وبين ذلك الخليط الفكري الذي يملأ الساحة تلك الأيام؛ كما سنرى تنوعها الداخلي بين محافظ وتقدمي ـ بعبارة العصر إن صحَّ إطلاقها على تشكيلاتهم آنذاك ـ «وتتبنى الإباضية ـ رغم وجود تيار محافظ بينهم ـ مناهج المعتزلة؛ فقالوا بالتحسين والتقبيح العقليين، ومالوا إلى تأويل كل ما يُوهم التشبيه ولو ظاهرًا، ونفوا رؤية الله في الآخرة؛ هذا مع قولهم القديم بخلود

العصاة في النار، وبحرية انتخاب الإمام، ولا ينكر الإباضية اعتناقهم لهذه الآراء واتفاقهم مع المعتزلة بشأنها، وإنما يجادلون في «أن المعتزلة هم الذين أخذوها عنهم وليس العكس»[21]، وعند التدقيق نجد أنه لا يوجد مذهب لا يؤثر ويتأثر سياسة وفكرًا بما حوله، إنما يكون الأمر في مقدار هذا التأثير والتأثر فقط.

ـ أسباب عزلة هذا المذهب:

تمر الشخصيات الاعتبارية (المذاهب ـ الأحزاب ـ وغيرها) بما تمر به حياة الفرد: ضعف وقوة، ومراحل طفولة ومراهقة ورشد، وفترات ازدهار وانحسار، وقد كان للإباضية نصيب وافر من ذلك كله، وإن اختلف بحسب الزمان والمكان؛ إلَّا أنه يبقى التأكيد على أن من الأسباب المهمة في عزلة هذا المذهب هي انتماؤهم إلى الخوارج الذين واجهوا أحد الخلفاء الراشدين المقبولين لدى أغلبية المسلمين، كما أنَّ سلوكيات متطرفيهم أخافت الناس منهم، بل ونشرت صورة لفرض ما يرونه بقوة السلاح والقتل، وما كان يُنادي به أولئك المتطرفون من الأفكار التي فيها هتك لعصمة النفس والمال، أورث الإباضية تركة ثقيلة كان عليهم أن يدفعوا ثمن حماقات أولئك، إضافة إلى كون الثقل الفكري والسياسي كان في المهاجرين والأنصار وأبنائهم، فكان ما جاءوا به يشبه إلى حدٍّ كبير ما نُسمِّيه اليوم بظاهرة (المؤَثّرون من خارج دائرة النفوذ)، ولهذا كانت الوجوه التي حملت راية الإباضية من الوجوه الجديدة على المجتمع آنذاك، واحتاجت إلى فترة حتى صارت معروفة ولها ثقل فكري واجتماعي وسياسي بالمجتمع.

ـ أماكن تواجـــده:

تواجد الإباضيون كأشخاص وكتنظيمات سريِّة في حواضر العالم الإسلامي في بداية تاريخه، وذلك في «البصرة» وغيرها من المدن، وقد عملوا بداية على أن يهتموا بالدعوة إلى ما لديهم حتى يحين الوقت؛ خصوصًا بعد الضربات التي تلقّوها بداية من «معركة النهروان» ومرورًا ببطش الأمويين والعباسيين، ولكنهم

كانوا ينظرون إلى جنبات العالم الإسلامي لمعرفة الأماكن التي يستطيعون أن ينشؤوا فيها تجمعاتهم التي يكون طابعها هو ما يذهبون إليه، «وحين ظهرت حركات الخوارج في النصف الثاني من القرن الأول الهجري -كحركات سياسية وعقدية- رأى زعماؤها في المناطق النائية والبعيدة عن مركز الخلافة مناطق مؤهلة لنشاطها وتحركاتها، وذلك خوفًا من ملاحقة وبطش الولاة والأمراء بها»[22].

ولهذا فقد بدأ نظرهم نحو حضرموت «ذكر ابن خلدون أن النجدية بعثوا إلى حضرموت في عام 66هـ وولوا «أبا فديك» لقبض الصدقة»[23]. وقد ذكر ابن المرتضى أماكن تواجدهم فقال: «وأكثر مذهبهم في: الجزيرة، والموصل، وسجستان، وذلك أن عليًا عليه السلام قتلهم بالنهروان ولم يفلت منهم إلا أقل من عشرة، ولا قتل من المسلمين إلا أقل من عشرين، فانهزم منهم اثنان إلى عمان، واثنان إلى كرمان، واثنان إلى سجستان، واثنان إلى الجزيرة، وواحد إلى تدموري باليمن، فظهرت بدع الخوارج في هذه المواضع»[24]. وقد خلص «زيد بن علي الوزير» إلى قوله: «وخلاصة القول فإن حضرموت وعمان على أغلب الظن هما محضن الإباضية في جنوب الجزيرة العربية»[25].

وقد امتد حضور الإباضيين إلى المغرب الإسلامي الكبير؛ ففي كل دولة حضور للإباضية، فنجد في ليبيا والجزائر وغيرهما أسماء لشخصيات شكلت حضورًا فكريًا واجتماعيًا، ونكتفي بالإشارة إلى أن «محمد بن بكر الفَرْسَطَّائي النفوسي» من «مدينة فَرْسَطَّاء» بجبل نفوسة في ليبيا، كان أحد الشخصيات المهمة في القرن الخامس الهجري، وأحد مشاهير الإباضية تاريخيًا، ومثله محَمَّد بن يوسف عيسى بن صالح بن عبدالرحمن الحفصي اطْفَيَّش، كان الجزائري المولود بغرداية يُعرف بـ«قطب الأئمة»، وغيرهما الكثير؛ كما في كتاب «طبقات المشايخ بالمغرب» تأليف الشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني.

ـ الاتفاق والاختلاف بين الإباضية والمذاهب الأخرى:

العلاقة بين الكيانات الفكرية «المذاهب» لا تجري على وتيرة واحدة؛ حتى لو كان الاتفاق بينهما في غالبية ما يذهبون إليه؛ لأنه يتبقى دور لحملة المذاهب من الأشخاص وميولاتهم التي تجعلهم أقرب أو أبعد؛ ولهذا فمؤشر العلاقة يكون

محكومًا بعدد من العوامل التي تدخلها التغيرات، ولهذا تجد التقارب والتباعد في الصيرورة التاريخية للإباضية ـ كما غيرها من المذاهب الإسلامية ـ ذا مؤشر لا يقف في جهة واحدة؛ فعندما يقربون من مذهب مّا في قضية يبعدون من مخالفه فيها بنفس المقدار.

وعلى سبيل المثال، فقربهم من المعتزلة في «التحسين والتقبيح العقليين»، وتأويل كل ما يُوهم التشبيه ولو ظاهرًا، ونفي رؤية الله في الآخرة؛ والقول بخلود العصاة في النار، وبحُرّية انتخاب الإمام، فإنهم يبتعدون من مخالفيهم في هذه المسائل بنفس المقدار، ومن المهم التنبيه إلى أن الخلاف في المسائل الفكرية يكون تبعًا لما ترجَّح لكل منهم من الأدلة التي قد يراها مخالفهم ضعيفة أو غير صحيحة، أما في الجانب السياسي فقد يكون ذلك نتيجة للخلاف في تقدير المصالح والمفاسد التي تتعلق بالفرد أو الجماعة.

ثانيًا: الإباضية الدولة

انتشر الخوارج بعد «معركة النهروان»، فكان اختيار اثنان منهم لـ «عمان» وواحد لـ «اليمن» بداية للتموضع والكُمون هناك؛ حتى يكون لهم فئة يستطيعون بها أن يشكلوا بها نظامًا خاصًا بحياتهم الفكرية والسياسية، «وقد ظهرت بدع الخوارج في هذه المواضع» حسب عبارة ابن المرتضى، مما يُدلِّل على أن هذه البذور قد آتت أكلها بعد حين، وقد أثمر ذلك حضورهم في النصف الثاني من القرن الهجري الأول.

ـ نشأت الدولة الإباضية في اليمن وعمان:

بدأ الحضور للدولة في اليمن من بداية القرن الثاني الهجري؛ فقد ذكر المؤرخ الطبري في أخبار «أبي حمزة الشاري» ما يلي: «كان أول أمر أبي حمزة- وهو المختار بْن عوف الأزدي السليمي من البصرة- قَالَ موسى: كان أول أمر أبي حمزة أنه كان يُوافي كل سنة «مكة» يدعو الناس إلى خلاف «مروان بْن محمد» وإلى خلاف آل مروان؛ قَالَ: فلم يزل يختلف في كل سنة حتى وافى «عبد الله بْن

يحيى» في آخر سنة ثمان وعشرين ومائة، فقال له: يا رجل، أسمع كلامًا حسنًا، وأراك تدعو إلى حقٍّ، فانطلق معي، فإني رجل مطاع في قومي، فخرج حتى ورد حضرموت، فبايعه أبو حمزة على الخلافة، ودعا إلى خلاف مروان وآل مروان»[26].

ولم يبق الحضور الإباضي في «حضرموت» فقط، فقد شهدت تلك الفترة توسعات لدولتهم شمل صنعاء ومكة، ووصل إلى المدينة المنورة، ثم عاد إلى حضرموت، وقد كان حضورهم هناك عبر «قبيلة الأزد» العمانية، فقد لعبت «قبيلة الأزد» العمانية دورًا مهما في الإسهام في نشأة وقيادة الحركة الإباضية وإثراء فكرها المذهبي والسياسي من خلال نجاحات «جابر بن زيد» وما كان يتمتع به من دراية واسعة في العلوم الدينية، ولا غرابة أن يجد المذهب الإباضي تربة صالحة له في عمان، وأن تقوم عمان بدور رئيس في تاريخ الإباضية وخاصة بعد انتقال شيوخ البصرة إليها، وتصبح المركز الروحي للإباضية، ويعود الفضل للعمانية في انتشار الإباضية في الهند والصين وجزيرة زنجبار بشرق أفريقيا»[27].

وبهذا نرى أن هاتين الرافعتين (حضرموت/عمان) شكلَّتا بذرة تشكُّل الدولة لدى الإباضية منذ وقت متقدم في التاريخ، وقد شهدت العلاقة بين الإباضية في حضرموت وعمان نموًا إيجابيًا، وشعورًا بواحدية الهدف والمصير، ويتبيَّن ذلك في هذا النص: «كان عبدالله بن يحيى من أهل حضرموت عابدًا مجتهدًا؛ فلما رأى الجور في اليمن قال لأصحابه: إنه لا يحل لنا المقام على ما نرى، وكتب إلى أصحابه الإباضية بعمان وغيرها وشاورهم في الخروج؛ فكتبوا إليه: إن استطعت أن لا تقيم يومًا واحدًا فافعل؛ فإن المسارعة إلى العمل الصالح أفضل، ولست تدري متى يأتيك أجلك»[28].

ـ دولة الإباضية في حضرموت وأعالي اليمن:

بعد أن أسس عبدالله بن يحيى (طالب الحق) دولةً في حضرموت امتد إلى أعالي اليمن؛ وكان قد سبقه سلوكه الإداري الجيد الذي قلَّل من عامل الخوف الذي يُساعد في المواجهة، وبعد سيطرته التامَّة على حضرموت: «كتب إلى أصحابه في صنعاء بأنه قادم إليهم، واستخلف على حضرموت عبدالله بن سعيد الحضرمي،

وقصد صنعاء في ألفين من رجاله عام (129هـ /46-747م)، وكان عاملها مروان بن القاسم بن عمر الثقفي، والتقى الطرفان في لحج، فهُزم مروان وتراجع إلى صنعاء، وبعث بجيش من أهل الظافر إلى صنعاء، فدخلها في نفس عام (129هـ/ 46-747م)، وبدخوله إليها استحوذ على اليمن كله، (وسار بالناس سيرةً حسنة، وأظهر العدل)»[29]، وكما هي عادة الدول تتوسع وتنكمش، وقد تنتهي بالمرة كما هو وجود الإباضية ـ كدولة ـ اليوم في اليمن.

ـ أسباب التغييب التاريخي لهذه الدولة:

كما ذكرنا في أسباب عزلة الإباضية كمذهب فإن تلك العوامل أيضًا تسهم في عزلتها كدولة، وما يجب إضافته هنا من عوامل التغييب هو ما يكمن أن نُسمِّيه بـ»صراعات الإخوة»، أو ما يُعرف اليوم إعلاميًّا بـ (صراع الأجنحة) والذي تكون نتيجته الحتمية ضعفها جميعًا وتغلُّب خصمها، ومن ذلك في تاريخ الإباضية ما حدث من أنَّ «شيبان بن عبدالعزيز اليشكري ـ من الخوارج الصفرية ـ ركب إلى عمان؛ فرارًا من القائد العباسي «خازم بن خزيمة»؛ لكن الجلندي ـ وهو إباضي ـ قاتلهم (واشتد بينهم القتال فقتل شيبان ومن معه)، والحق أن الجلندي لم ينتصر في هذه المعركة نصرًا يثبّت أقدامه، بل كان نصرًا قاده إلى النهاية؛ فالصراع بين الجناحين كان غلطة قاتلة؛ إذ أضعف الجانبين معًا، ومكنت القائد العباسي خازم أن يصطاد الجلندي بعد معارك ضارية؛ حيث أثبتت ضراوتها مدى الخسارة من قتل شيبان، فلو بقي حيًّا لكان وقوفهما معًا في وجه خازم أشد صلابة؛ لكن قص الجلندي لجناح شيبان قد أضعف جناح الجلندي نفسه، فلم يستطع بعد ذلك أن ينقض على القائد العباسي أو ينجو منه؛ فوقع مخضبًا بدمه في الصحراء بعد أن قاتلهم»[30].

كما يضاف إلى ذلك ما يحدث من اتفاق بين دولتين على تقاسم ثالثة منهما، والتاريخ مليء بالأمثلة لذلك، وخصوصًا في فترة العباسيين والفاطميين والصفويين، الذين كانوا يتقاسمون الدويلات الصغيرة التي كانت موجودة آنذاك، في عملية أشبه ما تكون بتقاسم النفوذ التي نشاهدها حاليًا في عالمنا اليوم.

ـ نظام الحكم ورؤية الإباضيين للديمقراطية:

يرتكز نظام الحكم لدى مذهب مَّا على نظريته الفكرية في موضوع قيادة الأمة، وبالتالي فليست الإباضية بدعًا في ذلك، ولمعرفة تفاصيل هذا الأمر، نعرض أهم النقاط المتعلقة بهذا الموضوع، ونبدأ بتأثير مسألة «الخروج على الحاكم» والتي جمعت كل من كان خارجيًّا؛ حتى ولو كان خروجه سلميًا، كالذين كانوا يُسمونهم بـ(القَعَدَة)، فهذه أحد المسائل المعتبرة المؤثرة في نظرية الحكم لديهم، وكذلك أيضًا مسألة التحكيم التي كانت أحد مواقفهم الفاصلة تاريخيًّا والتي تفرَّع عنها مسألة عدم حصر الحكم في شخص أو أسرة معينة، وقد كان الخوارج عمومًا ممن يرى ذلك؛ فمنذ بداياتهم، كانوا يرون كل عربي يصلح لتولِّي الإمامة ـ وهم يُفضِّلون هذا المصطلح على مصطلح الخلافة ـ ثم بعد توسع نطاق الإسلام وشموله للعديد من القوميات والشعوب قالوا بصحة تولِّي كل مسلم للحكم ما لم يكن فيه أحد موانعه، وأجازوا قيام إمامين في قطرين بشرط أن يكونا متباعدين وبينهما بحر.

وقد شرطوا شروطًا للمتولي للحكم، بدأت بثلاثة شروط، ووصلت إلى أحد عشر شرطًا، وذكروا أن موانع ذلك خمسة أمور: مبدأ التعيين والوراثة، وإمامة العبد، وإمامة الصبي، وإمامة ولد الزنا، وإمامة المرأة؛ وبهذا كانت مسألة الإمامة ضمن مفهوم الخروج السياسي للإباضية، وأحد تطبيقات الشورى في الأمر التي أشار إليها القرآن الكريم.

وبالنسبة للديمقراطية ونظرتهم إليها: فالحضور الكبير للإباضية في «عمان» وبعد مواجهات بين مؤيدي (الإمامة) ومؤيدي (السلطنة) قد أقرَّ نظام (السلطنة)، بينما الإباضية في المغرب يعيشون في نظم سياسية تعتمد الديموقراطية وتداول السلطة، وبالنظر إلى ما تقرَّر عند عموم الخوارج من أنَّ الولاية حقٌّ لكل مسلم؛ فبالتالي لن يكون هناك مشكلة فكرية في تبنِّي الديمقراطية كتطبيق لتلك الرؤية الفكرية لديهم؛ لأنه حتى مَن يرى بأن الإمامة مسألة إلهية معينة لأشخاص معينين كالإمامية مثلاً قد ابتكروا لهم في هذا العصر حلولًا عملية لتداول السلطة كنظام «ولاية الفقيه» وغيره؛ فما بالك بمَن كانت رؤيته الفكرية التاريخية هي كونها أمرًا بيد المسلمين وتصح في إيِّ رجل منهم[31].

ثالثًا: الإباضية الدور:

تبني الإباضية كفكر وكدولة وكأشخاص «الحياد الإيجابي»، وخصوصًا فيما يتعلق بالمشاكل المثارة في العالم الإسلامي بشكل عام؛ وذلك لكونها تُمثل ثالث الفَرَق الكبرى مع السنَّة والشيعة، وقد أعطاها هذا الابتعاد عن الفريقين مكانة مهمة للقيام بدور الوسيط المقبول لدى الفريقين الذين كثرت خلافاتهما في نقاط التماس الكثيرة بينهما، فكانت كفكر وكدولة وكأشخاص يملكون القابلية لدى المختلفين في أن يقوموا بدور الوسيط، وقد جعلها هذا تمتلك الواقعية والاتزان عند التوسُّط في مختلف القضايا، وهذه الصفات هي ما تساعد على الإسهام في حلها.

ـ دور المذهب الإباضي في رسم السياسة الخارجية لعمان:

ما يلمسه المتتبع حاليًا أن للمذاهب دور في تحريك المشهد السياسي؛ وذلك من خلال استدعاء الانتماءات الفكرية على الساحة السياسية وتوظيفها؛ كلٌّ في ما يرى أنه يفيده؛ والملاحظ أن الإباضيين حاليًا لا يهتمون كثيراً بمسألة نشر المذهب بالطريقة التي يفعلها غيرهم، وهذا البعد ألقى بظلاله على السياسة العمانية؛ فنحن نجده لا يفرض على صانع قرارها مراعاته المجحفة في كثير من المواقف؛ وهذا ساعد على تبني المواقف الإيجابية ـ ولو الحياد الإيجابي على الأقل ـ والإسهام الفاعل في حلحلة المشاكل، والقبول بالعماني وسيطًا في كثير من مشاكل الإقليم، وساعد على تحلي هذا الوسيط بالعقلانية وعدم التطرف في اتخاذ قراراته، ولهذا تجد معظم المختلفين يفضلون هذا الوسيط على غيره.

وكان من نتائج هذا أن توفر لعمان علاقات ممتازة مع الجميع؛ فحرصت من جانبها على أن تهتم في التوسط والاعتدال في المواقف من محيطها الإقليمي الذي تتشابك وتتعقد فيه المشكلات، وقد استخدمت لذلك العديد من الوسائل، فنجدها تارة تبدي موقفها بدون مواربة، وأخرى تحيطه بالغموض؛ مما يجعل الجميع يحتفظ بالورقة العمانية كخط رجعة ـ على أقل تقدير ـ وهذا ما يفسِّر بعض المواقف العمانية الغامضة تجاه بعض المشاكل.

تكرّست جملة من المبادئ الأساسية المؤطرة للتطور السياسي في عُمان على مر

التاريخ، منها تأصل نظرية عمانية خاصة في الحكم، بنيت على الإجماع والتعاقد من خلال آليات الشورى المختلفة، وقامت هذه النظرية على الكثير من الواقعية السياسية، والأسلوب العملي في التفكير؛ كون تشكُّل وتكوين المذهب الإباضي كان سياسيًا وليس دينيًا، وكذا تكريس البراغماتية السياسية كسلوك، وتأثير الهوية الجيوسياسية، التي تتضح في انعكاس الجغرافيا، والتنوع في التضاريس والبيئة على ثقافة العمانيين.

تميزت عمان بحضور وتأثير فاعل في محيطها الإقليمي والدولي؛ مستفيدة من موقعها الاستراتيجي؛ حيث تقع في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية، وتطل على ثلاثة بحار هي: (بحر العرب، بحر عمان، الخليج العربي)، وتمتد سواحلها على أكثر من ثلاثة آلاف كيلو متر من «مضيق هرمز» شمالا إلى حدود الجمهورية اليمنية؛ ما يمكنها من التحكم في «مضيق هرمز» الاستراتيجي وحركة الملاحة البحرية.

وتُعد «سلطنة عُمان» أبرز نموذج يمكن أن يُتداول الحديث عنه حينما تُناقَش علاقة الجغرافيا والطبيعة السكانية وتأثيرها على السياسة الخارجية، حيث لا يمكن فهم سياستها خارج إطار جغرافيتها، أو بعيدًا عن فهم المكونات المتعددة لسكانها ذوي الخلفيات المذهبية والعرقية المتنوعة. واختصارًا، يمكن القول: أن الدولة العمانية لها وجهان يختلف كلاهما عن السياق العام لمحيطها العربي: وجه ديني مذهبي غالب، وهو المذهب الإباضي. ووجه جغرافي وسكاني، أثَّر كلاهما في الدولة العُمانية، ودفعاها إلى الالتزام بالحياد السياسي في محيطها الإقليمي والدولي، واحترام التعدد والتنوع المذهبي الديني داخلها[32].

وقد حددت المادة (13) من النظام الأساسي للسلطنة، المبادئ السياسية للدولة، والمتمثلة في: المحافظة على الاستقلال والسيادة، وصون كيان الدولة وأمنها واستقرارها، والدفاع عنها ضد كل عدوان. - توثيق عُرا التعاون، وتأكيد أواصر الصداقة مع جميع الدول والشعوب على أساس من الاحترام المتبادل، والمصلحة المشتركة، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، ومراعاة المواثيق والمعاهدات الدولية والإقليمية، وقواعد القانون الدولي المعترف بها بصورة عامة؛ وبما يؤدي إلى إشاعة السلام والأمن بين الدول والشعوب[33].

- مسقط عاصمة الحياد:

تبنّت «سلطنة عُمان» على مدى أكثر من (أربعين عامًا) سياسة واضحة في علاقاتها الخارجية، تقوم على التزام الحياد في الصراعات الدائرة بالمنطقة، وتنحية الأبعاد الأيديولوجية والطائفية والمذهبية، والانحياز إلى التفاوض والحل السلمي في النزاعات، والتواجد على مسافة واحدة مع الجيران الإقليميين؛ وبهذا تمكنت السلطنة من بناء علاقة مستقرة مع دول الجوار.

هذا الموقف الذي اتخذته «سلطنة عُمان» شكّلته عوامل دينية وجغرافية وسياسية، وكان للمذهب الإباضي والموقع الجغرافي دور كبير في تشكيل هذا الخط في سياسة «مسْقَط» الخارجية التي تقوم على التوازن والاعتدال، وأصبحت «مسقط» عاصمة الحياد التي تتجه إليها الأنظار ويلتقي فيها الفرقاء على اختلاف انتماءاتهم.

ـ تأثير المذهب الإباضي في علاقة عمان باليمن:

العلاقات التاريخية بين عُمان واليمن موغلة في التاريخ ـ كما ذكرنا سابقا في الإباضية المذهب ـ فمنذ حركة «طالب الحق» في بدايات القرن الثاني الهجري وإلى اليوم؛ بقيت العلاقات العمانية اليمنية متصلة في معظم أوقاتها، وكان للمذهب الإباضي دورٌ في ذلك؛ لأنه كان له أتباع في اليمن وعمان، ولم تنقطع الصلة بينهما؛ بسبب وحدة الانتماء الفكري والجوار الجغرافي، وتشابه التركيبة الاجتماعية القبلية للبلدين، وإن كانت تضعف في أحيانٍ بسبب ضعف وجود الإباضية في اليمن، وعدم تبني المذهب الإباضي لرؤية أحد الطرفين الكاملة تجعله والمنتمين إليه في وضع مريح للتعامل مع الأطراف جميعًا، وخصوصا مع بلد متعدد فكريا كاليمن، ويجعله يملك خطوط تواصل مع كل الفئات فيه، ويملك القابلية من كل الأطراف؛ لكونه على مسافة واحدة من الجميع.

ترتبط سلطنة عُمان بحدود مشتركة مع الجمهورية اليمنية يبلغ طولها حوالي 294 كم، من الحدود المشتركة إلى ساحل بحر العرب، وتتمتع الدولتان بموقعين استراتيجيين يتحكمان في أهم مضيقين بحريين في المنطقة، هما «مضيق هرمز» و«مضيق باب المندب»، وتتداخل انتماءات سكان المناطق الحدودية بين البلدين،

وعلى الرغم من إشكاليات الصراع على المناطق الحدودية، فقد كانت «سلطنة عمان» أول دولة توقع اتفاقية ترسيم حدودها مع اليمن في أكتوبر 1992م.

اعتمدت السلطنة في سياستها الخارجية تجاه اليمن منذ مطلع تسعينيات القرن الماضي على رؤية خاصة بها متخففة من أجندة جاراتها الخليجية، بما ينسجم مع طبيعة علاقات الجوار وروابط الشعبين. وقد تأثرت السياسة الخارجية العمانية بمخاوف تهديد أمنها القومي، واستحضار ماضي علاقتها المتوترة مع النظام الحاكم لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية قبل إعادة تحقيق الوحدة اليمنية في 22 مايو 1990.

أثبتت الأحداث والتحولات السياسية، وخاصة في اليمن، التأثير المتبادل على الأمن القومي العماني واليمني، وهو ما انعكس على زيادة الاهتمام العُماني باليمن، وبروز الدبلوماسية العمانية الهادئة، حيث تأثرت السياسة الخارجية العمانية تجاه اليمن خلال العقود الثلاثة الماضية بطبيعة علاقتها مع الحكومة اليمنية وجاراتها الخليجية، وشهدت تحوّلاً في السنوات الأخيرة في نمط تفاعلها مع الفاعلين المحليين اليمنيين والإقليميين خلال الحرب الجارية في اليمن[34].

ـ موقف السلطنة من الحرب على اليمن:

كانت سلطة عُمان ذات دور في الأحداث اليمنية قبل انطلاق الحرب في 26 مارس 2015م، وذلك بتأييدها لجهود مجلس التعاون الخليجي لحلّ الأزمة في اليمن في 2011م، عبر المبادرة الخليجية وآليتها التنفيذية، ودعمت الوساطة الأُممية وفعاليات «الحوار الوطني الشامل»، وبعد سيطرة جماعة «أنصار الله» على صنعاء وتوقيعها «اتفاق السلم والشراكة» مع بقية القوى السياسية اليمنية، رحّبت «عُمان» بالاتفاق دون إبداء موقف علني مؤيد أو معارض للجماعة، وقد أعلنت تأييدها لاحقًا شرعية الرئيس «عبدربه منصور هادي»، وعند انطلاق «عاصفة الحزم» بقيادة السعودية؛ كانت «عمان» هي الدولة الخليجية التي رفضت المشاركة في العمليات العسكرية، وقد وضّحت موقفها من خلال الدعوة التي وجهتها حينها لليمنيين؛ كي يتفقوا فيما بينهم لإخراج اليمن من أزمته الطاحنة، وتأكيدها «استعداد السلطنة للتعامل

مع كل اليمنيين على مقياس واحد، ودعم أي جهد من قِبَل الأشقاء في مجلس الجامعة العربية في سبيل استقرار اليمن»[35].

وقد استمر هذا الموقف؛ مما حدى بوزير الخارجية العماني السابق «يوسف بن علوي» إلى التذكير بذلك بعد خمس سنوات من الحرب، بقوله: «الحقيقة باتت واضحة للجميع، وهي: أن الحرب في اليمن لا تُصلِح شيئا، وكانت نتيجة حسابات خاطئة»[36]. وقد أثار وقوف «عمان» على الحياد غضب السعودية؛ كونه إدانة ضمنية للحرب في اليمن.

وقد كانت هذه المواقف مرفوضة من قبل التحالف؛ ولذلك أقدم على قصف «السفارة العمانية» بصنعاء في سبتمبر 2015م؛ فقامت «عُمان» بإجلاء بعثتها من صنعاء، مع أنها ترى أنّ سحب البعثات الدبلوماسية لن يفيد الحوار والحل السلمي، وقد مارست «عمان» أدوارًا متنوعة؛ دلَّلت على سياستها المتوازنة وغير المنحازة لطرف على حساب آخر، منها: أنها سهلت مرور الرئيس «عبدربه منصور هادي» عبر أراضيها إلى الرياض عقب استهداف قصره الرئاسي. وقامت في فبراير 2015م بإخلاء كادر السفارة الأمريكية من صنعاء[37].

كما استمرت سلطنة عُمان في تسيير المحادثات عبر القنوات الخلفية بين أطراف الأزمة بما في ذلك الحوثيين. وبعد وقوع هجمات «أرامكو» في سبتمبر 2019م استضافت العاصمة العمانية محادثات بين مسؤولين سعوديين وممثلين عن الحوثيين؛ لتخفيف حدَّة التوتر بين الجانبين[38]. وهذه المواقف التي تبدو متباينة هي التي فرضت على الجميع إبقاء البوابة العمانية خط رجعة للجميع، حيث اتسمت السياسة الخارجية العمانية على دور الوساطة المحايدة الذي منحها الفعالية.

ـ مستقبل العلاقات بين البلدين:

يعتبر اليمن بُعدًا حيويًا لـ«عمان» والعكس، ولهذا فإن الأوضاع الحالية ستكون بمثابة مقدمات للنتائج المستقبلية بين البلدين، وقد تأثر كلٌّ منهما بما كان يحدث في الماضي، وكذلك سيكون الحال مستقبلا؛ وبالأخص ما يتعلَّق بشرق اليمن «محافظة المهرة»، ولتعلق المناطق والقضايا ببعضها سنجد التغيرات تتوسَّع لتشمل

خريطتي البلدين، فما يحدث هو محاولة إحداث تغييرات في «المهرة» من قِبل السعودية لصالحها، ولكي يتسنى لها مدَّ أنبوب نفطي إلى بحر العرب مع حماية دائمة له من قبلها، كذلك السعي للسيطرة على «أرخبيل سقطرى» وتشكيل قوى سياسية وعسكرية في المحافظات الجنوبية لليمن من قبل الإمارات، وهذا الأمر يبدو تطويقًا للدور العماني في اليمن؛ ولهذا فالمعالجات العمانية القائمة حاليًا المتمثلة في دعم القوى الوطنية لمعارضة الوجود السعودي والإماراتي؛ إنما هي بمثابة إشارة للدولتين بعدم إلغاء الحضور العماني وتقليص النفوذ.

لا تعتمد عمان في سعيها لتطويق المخاطر الجيوسياسية التي يشكلها الوجود السعودي والإماراتي في «المهرة» و«جزيرة سقطرى» على تحفيز المعارضات الموضعية ذات المرتكزات المحلية ومحدودة الأفق، وإنما تتجه ـ بموازاة ذلك ـ إلى بناء علاقات وازنة مع قوى معارِضة للنفوذ الأجنبي في المشهد اليمني ككل؛ فهناك ـ أي على المستوى الكلي للسياسات اليمنية وتجاذباتها الداخلية والإقليمية القاتلة، وليس في الجغرافيا اللصيقة بعمان القلقة ـ سيتقرَّر في نهاية المطاف مستقبل النفوذ الإقليمي في اليمن[39].

ولهذا فمستقبل العلاقات بين اليمن وعمان سيستمر بوتيرة متصاعدة؛ كضرورة لكليهما أولًا، وقد يشهد بعد أن تضع الحرب أوزارها علاقات استراتيجية؛ بعد أن عرف كلٌّ منهما أهمية الآخر له في عالمٍ يمور بالصراعات والتهديدات المستمرة.

الاستنتاجات:

بعد العرض المتقدم، الذي حاولنا أن نسلط فيه الضوء على العديد من المسائل المتعلقة بـ «الإباضية» وفق المحاور الثلاثة (المذهب - الدولة -الدور)، خلصنا إلى:

1) الإباضية كمذهب:

ـ نشأت في القرن الأول الهجري، وتعاملت مع واقعه، وما ومَن حوله تتعرض لما عرض للمذاهب عمومًا، وقد مارس المنتمين إليها دورهم في التاريخ، كثوار في بعض مراحلهم وكحكَّام في مراحل وأوقات أخرى.

- أبرز الإباضية معتقداهم عبر تاريخهم، وقد كان منها ما تطور حسب ظروف الزمان، ومنها ما بقي ثابتًا كأسس عقدية.
- كانت هناك عوامل تسببت في عزلتها، وتعاملت مع التحديات التي واجهها خلال الصيرورة التاريخية.
- كانت هناك أماكن تواجد المذهب الإباضي منذ بداياته كسلطنة عمان وحضرموت، ومناطق توسَّع إليها كأعالي اليمن وشمال أفريقيا وغيرها من المناطق في العالم الإسلامي، وحضوره الكثيف حاليًا في عُمان وشمال أفريقيا.
- العلاقة بين الإباضية وغيرها من المذاهب الإسلامية، كانت علاقة مد وجزر، وانفتاح ومواجهة بحسب العوامل الفكرية والسياسية والاجتماعية المشتركة بينها.

2) الإباضية كدولة:

- حضور الإباضية في اليمن وعمان منذ نشأتها، وقد أسست دولتها هناك منذ ذلك الوقت، وقد مرَّت في اليمن بفترات توسُّع شَمِلَت معظمه، وكانت هناك عوامل تسببت في تغييب حضورها التاريخي، منها ما هو داخلي كصراع الأجنحة، أو خارجي كتقاسم النفوذ بين الدول الكبار المحيطة بهم.
- كانت للإباضية رؤية متقدمة في مسألة الحكم، ومتانتها تتمثل في كونها تعد أحد تطبيقات الشورى (الموسعة)، وتجاوز ضيق العصبيات العشائرية التي حكمت رؤى كثير من المذاهب الأخرى، ويمكن أن يبنى عليها تطوير عصري يناسب المزاج العالمي الذي صارت الديمقراطية هي الأصل في مسألة الحكم.

3) الإباضية كدَور:

- دور الإباضية الفكري «المتوسط» بين مواقف السنَّة والشيعة كان له أثر إيجابي في رسم ملامح السياسة العمانية، واتزان سياستها واعتدالها في عبور السياسات المتقاطعة لدول المنطقة، مما جعل بعض سياساتها تمتاز بالغموض؛ وذلك للحفاظ على مبدأ الحياد الإيجابي من الصراعات، والذي يعتبر هو ميزة السياسة العمانية.
- البعد التاريخي للفكر في علاقات عمان واليمن آتى ثمارًا طيبة؛ خصوصا مع

وحدة الجغرافيا وتشابه التشكيلة الاجتماعية، مما قربهما من بعض، وكان كل منهما ظهيراً مفيدًا للآخر بشكل إيجابي وبشكل أكثر أهمية عند المشاكل.

- مارست «سلطنة عمان» سياستها المفضلة «النأي بالنفس والحياد الإيجابي» بالنسبة للوضع الحالي لليمن، ورفضت المشاركة في الحرب العسكرية عليه، وقدمت تسهيلات لكل أطراف الصراع القائم؛ مما أقنعهم جميعًا (أخيراً) بصوابية هذا الموقف الذي استفاد منه الكل.
- تؤسس الأحداث الجارية في اليمن حاليًا لعلاقات مستقبلية بين البلدين الشقيقين أكثر ارتباطًا، ومع المخاوف من الخطوات التي تُقدِم عليها السعودية والإمارات في اليمن التي ستجعل عمان تهتم أكثر باليمن والقوى المتشكلة فيه، كضرورة أولًا وكضمانة مستقبلية ثانيًا، وبهذا تكون العلاقة مرشَّحة للتوسع الإيجابي.

قائمة المراجع:

1 - أضابير: يقال: ضبر الكُتُب وغيرَها، جمعها وجعلها إضبارة، والإضبارة الحُزمة من الصحف يضم بعضها إلى بعض، جمعها أضابير. القاموس المحيط (428).

2 - صفحات من تاريخ إباضية عمان وحضرموت ـ عبدالرحمن جعفر بن عقيل ـ الجمهورية اليمنية ـ المكلا ـ دار حضرموت للدراسات والنشر ـ ط1 ـ 1426هـ ـ2006م ص115.

3 - المصدر السابق.

4 - المنية والأمل شرح الملل والنحل ـ أحمد بن يحيى بن المرتضى ـ تحقيق الدكتور محمد جواد مشكور ـ لبنان ـ بيروت ـ دار الندى ـ ط2 ـ 1410هـ ـ 1990م- ص110ـ111.

5 - لعل المقصود: أنَّ القياس أن يُنسبوا إلى مؤسسهم الأول: جابر بن زيد، ولكن قبولهم لهذه التسمية أجازت التسمية إلى غيره.

6 - الإباضية: أصولها وأعلامها وأثرها في التقريب بين المذاهب الإسلامية ـ طارق ساسي الشيباني ـ منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ الرباط ـ المملكة المغربية ـ 1434هـ ـ 2013م ص13ـ14.

7 - نفس المصدر السابق: ص14ـ15.

8 - الملل والنحل ـ محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني ـ تحقيق أمير علي مهنا، وعلي حسن فاعور ـ دار المعرفة ـ لبنان ـ بيروت ـ ط3 ـ 1414هـ ـ 1993م ج1 ص156.

9 - المصدر السابق ج1 ص 156ـ157..

10 - معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره ـ علي محمد زيد ـ مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، دار العودة بيروت ـ لبنان ـ بيروت ـ ط1 ـ 1981م ص18.

11 - الأصول التاريخية للفرقة الإباضية ـ عوض محمد خليفات ـ سلطنة عمان ـ وزارة التراث القومي والثقافة (تراثنا) ـ العدد 27 ـ ط3 ـ 1415هـ ـ 1994م ص5ـ6.

12 - الأعلام ـ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ـ لبنان ـ بيروت ـ دار العلم للملايين ـ ط15 ـ 2002م. ج2 ص104.

13 - الإباضية أصولها وأعلامها وأثرها في التقريب بين المذاهب الإسلامية: ص33ـ34.

14 - الأعلام: ج4 ص61ـ62.

15 - صفحات من تاريخ إباضية عمان وحضرموت مرجع سابق ص 138.

16 - الإباضية أصولها وأعلامها وأثرها في التقريب بين المذاهب الإسلامية، مرجع سابق ص36.

17 - المصدر السابق ص36ـ38.

18 - المصدر السابق ص38.

19 - صفحات من تاريخ إباضية عمان وحضرموت: ص156ـ157.

20 - الإباضية أصولها وأعلامها وأثرها في التقريب بين المذاهب الإسلامية، مرجع سابق ص39.

21 - صفحات من تاريخ إباضية عمان وحضرموت: ص160.

22 - المرجع السابق ص193.

23 - المرجع السابق ص194.

24 - المنية والأمل مرجع سابق: ص111ـ112.

25 - على أطلال الإباضية في أعلي شمال اليمن ـ زيد بن علي الوزير ـ مجلة المسار ـ عدد 14 ـ 2004 ص6.

26 - تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك وصله تاريخ الطبري المؤلف محمد بن جرير الناشر: دار التراث - بيروت الطبعة: الثانية - 1387 هـ ج 7 ص348.

27 - صفحات من تاريخ إباضية عمان وحضرموت مرجع سابق: ص135.

28 - على أطلال الأباضية في أعالي شمال اليمن ـ القسم الثاني: المسار عدد: 14. ص:10.

29 - المصدر السابق ص14.

30 - المصدر السابق ص22ـ23.

31 - ينظر لبقية التفاصيل عن نظام الحكم لدى الإباضية كتاب (صفحات من تاريخ إباضية عمان وحضرموت) الأصول السياسية للإباضية من ص180ـ192.

32 - الإباضية والجيوبولوتيك: عُمان ومانفيستو الوقوف على الحياد- أحمد عبد الحميد حسين موقع ثمانية https://thmanyah.com/3421

33 - المادة (13) المبادئ الموجهة لسياسات الدولة -المبادئ الأساسية.
https://mola.gov.om/basicstatute.aspx

34 - مطهر الصفاري - مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات
02/03/https://fikercenter.com/2022

35 - العلاقة بين سلطنة عمان وجماعة الحوثي ـ المحددات وآفاق التقارب المستقبلي ـ منتدى السياسات العربية.

36 - المصدر السابق.

37 - المصدر السابق.

38 - السياسة الخارجية لسلطنة عمان تجاه الأزمة اليمنية ـ خميس بن علي بن خميس السنيدي ـ إشراف الدكتورة سحر محمد الطراونة ـ جامعة الشرق الأوسط ـ قسم العلوم السياسية ـ كلية الآداب ـ 2020م ص 52.

39 - العلاقة بين عمان وجماعة الحوثي ـ مصدر سابق: ص8.

منتدى مجال

سياسي - اجتماعي - استشاري

https://majalforums.com
info@majalforums.com
ahmed@majalforums.com
00967775775774